صباح الجمعة ١٠ منهُ بعد نوٍّ شديد قابلنا بين هيجانهِ وهـدوّ البحر الهندي والبحر الاحمر

حدّث ولا حرج عما شمل اخوتنا الرهبان في بيروت اذ رأونا رجعنا بالسلام بعدما انقطعت عنهم رسالاتنا مدّةً وانتشرت في حقّنا الروايات المزعجة . وكان يوم عودتنا تمام اربعة اشهر منذ خروجنا من بيروت فابدينا الشكر الجزيل لذاك الذي ارسل ملاكهُ فانقذنا من كلّ الشرور المحدقة بنا لذكرهِ المجد الى ابد الدهور

الحجل اللبناني

لحضرة الاب يوسف الحوري من اساتذة كليتنا

ولى الشتاء وزمهريرهُ . وأقبل الربيع وغريرهُ . فتنفّس الطيرُ الصعداء . وتغرّد بآيات الحمد لبارئهِ الذي نجّاهُ من اعباء الشتاء . فافرجهُ من ضيقتهِ واخرجهُ من وكرهِ ولو رثَّ الإهاب مهزول الجسم شاحبهُ

هاكه بعد بروزه محوّماً فوق المراعي الطيبة وضارباً بجناحيهِ على السهول الخصبة ليعالج هزالهُ ويستبدل ضمورهُ بالسمن فألفتَ اليهِ نظر الصيّاد وأهاب به من خمول الشتاء الى تشمير بارودهِ من الرطوبة وتجهيز بندقيتهِ وجلاّها من صدإ الخباء والتشمير عن ساعده لمطاردة الطير في مجاثمه وملاحقتهِ الى وكناتهِ لانه خُلق لخدمتهِ وسُخّر لافادتهِ ومنفعتهِ

لكل بلاد اطيار تفوق بعضها بعضاً بالحسن والظرف وبالنفع لقوت الناس فاحسن بلادنا طيرًا واطيبهُ لحماً الحجل فاصحاب البيوت يقتنونه والصيّادون يلاحقونه ووعور لبنان وغاباتهُ وحزونهُ وبطاحهُ غاصّة بهِ . واذا لحظنا في اخلاقهِ ما يستحق الذكر ويسلي الخاطر رأينا خدمةً لقراء هذه المجلة العلمية ان نكتب لهم شيئاً عن طبيعة هذا الطير الذي يقتنيهِ الغنيّ في بيتهِ وينهب الصيّاد الارض وراء اقتناصهِ معتمدين في وصفنا العيان والاختبار لا النقل والسمع فنقول :

﴿ وصف الحجل واشكالهُ ﴾ الحجل من فصيلة الدرّاج والكروان والقبج

وربما اطلقوا عليهِ اسماءها وصاحب حياة الحيوان يسميه ايضاً بالسماني والانثى الحجلة والعامة تسميها « السركة » وقت الصيد فقط وهي تصحيف سلكة وهو طائر فوق الحمام قريب من القطا عبل الجسم ململمهُ صغير الرأس احمرُهُ ابتر الذنب مدوَّرهُ قصير الساق مرتفع الجؤجؤ كثير الريش نسبة الى هيكلهِ . والحجل اشكال متحدة طبيعةً مختلفة هيئةً وحجماً منها الاحمر وسميّ كذا لاحمرار ناصع في مخالبهِ وساقيهِ ومنقارهِ وعينه وبعض ريش جناحيهِ ويكثر وجوده في اميركا لاسيما الجنوبية كالبرازيل وكولومبيا وبعض نواحي افريقية والهند واليابان وشوهد منه بقلة في لبنان وسورية والسنجابي وتراه بكثرة في اوربا لاسيما في شمال فرنسة وهو المسمى عندهم « perdrix » . ومنها الرومي او الدمشقي وربما سميّ كذلك او لحق بهِ هذا الاسم لكثرتهِ في بلاد اليونان وجهات الروم ودمشق الشام . ويُرى ايضاً في جهات ارمينية والعجم لا سيما في وعور لبنان وغاباتهِ وقد اقتصرنا في الكلام عليه دون سواه في هذا المقال لانتشاره في بلادنا ولأن الواجب يقضي علينا بوصف القريب دون الغريب فنذكر شيئاً من طبائعهِ وتربيتهِ وتدجينهِ وطرق صيده المتعارفة في بلادنا

﴿ خواصُهُ ﴾ يختلف الحجل الدمشقي او حجل بلادنا عن سواه في بعض الاشكال والالوان ويتفق معهُ طبيعةً فكلُّ ما نورده هنا يصحُّ على الغالب نسبته لبقية الاجناس فهو صغير الرأس رماديّ الريش ارقط الجناح احمر الساقين قويّ المنقار اعكفُهُ قصير الذنب ابترُهُ يغلب عليه الخوف والتحذُّر فلذا لا يحلّق كغيره في الفضاء ولا يجثم على المحالّ المطلقة والاشجار الباسقة بل ينسلُّ بين الادغال ويختفي بين فصائل الباذنجان وخلال الأنفاق والصخور ولا يطيرُ الا محرجاً ولمسافة قريبة غير بعيدٍ من الارض وينفذ في الهواء مسرعاً كأنه بطيرانهِ حجرٌ خرج من المقلاع او سهمٌ زلّ عن القوس ومتى اضطرَّ لمغادرة وكرهِ وربضهِ فلا يبرز دفعةً واحدةً بل يتوقر وينرُدُ مرات متقطعة كأنهُ يجسّ نبض الطريق ليأمن مرور العدو ثمّ يدرج درجاً حتى يبلغ نهايته . ودروج الحجل — والعامة تسميهِ نقلة — يُضرب بهِ المثل بالخفة واللباقة ويشبَّه نقلُ الراقص بهما لان بانضمام المخالب وموازنتها وإسبالها ما يشبه ايقاع الموسيقي واوزانها المطربة

والحجل يؤثر فيه الحرّ فيتقيه فلا تراهُ يخرج لطلب رزقه الّا عند انبثاق الفجر وفي الفيافي والبطاح وعند انتشار الضباب . وقد يمرّ فيما سوى ذلك فوقهُ حجر الصياد فلا يُثيره من خبائه مع ان قوّة الشعور فيه متوفّرة وبالغة حدّها وكما ان الحرّ يضيمه كذلك القرّ يعمل في جسمه فتى غشى الثلج جوانبهُ يهبطُ السواحل والبقاع ويستمرُّ فيها الى ان يطيب الهواء ويزول الثلج . ثمّ انّ الريح حتى الخفيفة تحدو به الى الاعتزال والاحتجاب فلا يطلبُ فيها طعاماً ولا يلتمس قوتاً ويستكف من الشتاء لشدة وقعه عليه فيضمر جسمه ويرثُّ لباسهُ ويتناثر ريشه . ومن طباعه انهُ بذويه فلا يعيش الّا مع اسراب من جماعته وقلما رأى الصيادون حجلًا طريدًا في غير ايّام السفاد ويسمونها « ايام الفقاد » وهي في عرفهم الزمان الذي يطلب فيه الذكر انثاهُ للازدواج ويشترك كلاهما بتهيئة عشهما وهذه الاسراب يسمّيها الصيادون رفوفاً تتألف غالباً من الذكور ولا دخل للاناث بها والحجل لا يبيت في مكان بات فيه سابقاً بل في جواره لئلّا يهتدي اليه العدوّ ومتى اخلى مكاناً محرجاً لا يعود اليه في مستقبل الايام

ويعيش الحجل الى السنة الخامسة عشرة ويزعم البعض انّ سني عمره على قدر عدد بيض انثاه وعلامة المعمّر تصلّب لحمه واعصابه وارتخاء عضلاته وتضخّم ساقيه وسوادهما . ويتميّزُ الذكر عن الانثى بكبر رأسه وضخامة ساقيه وهنةٍ على رأس مؤخر مخالبه تكبر وتصلب مع الايام ولحمه من اطيب اللحوم وألذّها والصيادون يولون عليه . ويخاصم الثعلبُ الحجل فيُلجئهُ الى مخالفة طبيعته والجثوم على الاشجار تخلّصاً من اذاه وربما وقع امامه من الخوف منجدلًا وهو يلحقه

﴿ طعامه ﴾ تضرب النأمة المثل بمعدة الحجل فتقول لصاحب البطنة : معدتهُ تقطع الصوّان ولسانه كمنقار الحجل تكسر الحجارة . وربما بولغ اكثر من ذلك لان الحجل لا يعفو عن شيء فياكل ما يقدّمُ لهُ بلا تحذر الّا انه يلتذ بالنبات فاذا قدّمت له قرةٌ وبُرٌّ الا يمسُّ الثاني قبل ان يأتي على الاول وفي ايام الحصاد يدمق على السهول فيتلف الاغمار وعلى المكادس فينبرها نبرًا ويطارد الهوامّ والحشرات فيبتلعها وهي طائرة وينحدر على الكروم فياكل عناقيدها . وهو من اصبر الطيور على العطش حتى قيل انهُ لا يشرب بحياته ماء والصيادون يقطعون الماء عن الداجن

لاعتقادهم بان الماء يجعلهُ غير صالح للصيد على المنصة في ايام السفاد ذكرًا كان او انثى

﴿ تعشيشهُ ﴾ عجيب هذا الطير في اطواره وغيرته فألفتهُ المعهودة تتحوّل في اوائل اذار الى خصام شديد وعراك قويّ ونفور زائد فقلما ترى ذكرًا يقرب الاخر وقلّما تتابلا الّا تصارعا وتضاربا حتى انه يسمع صوت القتال عن بعد فالضعيف يختفي والقويّ ينفض الخوف ويبرز كالكاسر كلّ ذلك ناتج عن الغيرة والتسابق الى الاناث. فاذا سمع الذكر صوت الحجلة حنّ على غير مألوف عادته في الفضاء يفتّش على مقرّها

وذكر صيّاد امامي مرةً انه شاهد اربعة حجال يختصمون على انثى اثنان اثنان وثلاثة واربعة حتى تفانوا الّا واحدًا خرج من هذه المعمعة مهشّماً مجرّحاً. وتستمرُّ هذه الحرب السجال شهرًا وربّما طالت حتى يزول الملول ويجتمع كلّ ذكر بانثى فينفرد بها ولا يفارقها غيرة وخوفاً فينضّد معها قشّ العش ثم تبدأ بالبيض وربما باضت من غير ذكر لكنّ ذاك البيض لا يصلح للحضونة فيفسد ولا ينتفُ (يمردر) ويبلغ بيضها الى العشرين وقلّما شوهد اكثر من ذلك وبعض الاناث تبيض الموسم غب الموسم ومنها السنة تلو الاخرى وعلى قول البعض ان البيض يقلّ كل سنة واحدة وهكذا الى النهاية وهذا مما يزيد زعم القائلين بان الحجل يعيش على عدد بيضهِ

ووجد الصيّادون في العش بيضاً صغيرًا ما برحوا الى الآن في لبنان يظنونهُ من وضع الحجل وهو بالحقيقة بيض انثى لم يكن منها الذكر تماماً

ثم ترخم الانثى على بيضها مدة عشرين يوماً على الاكثر ويقيم الحجل بجانبها وربّما تركها وقت الحضانة واستقلّت هي بعملها . والدميري في كتاب حياة الحيوان يزعم ان الذكر يشارك الانثى بالحضانة فيرخم على البيض الذي داخله ذكر فقط . وغيره يقول انه يرخم عليهِ متى ذهبت انثاه لطلب رزقها والله اعلم

وجرّب بعض الصيّادين فاطاق في مكان منفرد ذكرًا وانثى داجنين فعشّشا واستقلّت الانثى بالحضانة ولم يكن الذكر يقترب منها ولا يمسّ بيضها او يعاونها في اعالة صغارها مع انه كان دائمًا معها في عشّ واحد

والذي يرى من هيئة العش ان الحجل لا يتأنّق كبقية الطيور بصنيع عشهِ

وحبكه حبكاً يضمن تماسكه فيكتفي بتنضيد ما يجمعهُ من القش اليابس بجانب بعضهِ حتى اذا اصابته ريح نثرته في كل مكان

﴿ بروز الفرخ ﴾ متى دبَّت في الفرخ ضمن البيضة نسمةُ الحياة تشعر امهُ بقوة طبيعتها فتتقب عقب البيضة بمنقادها فيظهر رأس الفرخ ثم تأخذ بتوسيعهِ ووبيدًا الى ان تتفرج القشرة ويصبح قادرًا على الخروج بذاته فيخرج واذا مات احد صغارها تحمله بمنقادها سرًّا وتقذف به بعيدًا عن العش لئلَّا يتأذَّى من رائحته البقية . والمقول ان الذكر يأتي بعد تلك الغيبة الطويلة وبمنقاده طعام يزقُّهُ للفراخ ويتولى بالمناوبة مع الانثى اعالة الصغار الى ان يقووا على الحركة فيلحقون والدتهم كما يلحق القوب الدجاجة

وصغار الحجل تخرج من البيضة مرتاشة كلها بخلاف بقية الطيور البرّية فيظهر عليها الزغب تدريجاً والحجل يحفظ فطرته الطبيعية وان تسلطت عليه عوامل اخرى . جرَّب بعضهم والقى تحت دجاجة (قرقة) بيض حجل ففقس البيض في وقتهِ وخرج منه الفرخ وكانت الدجاجة تعامله كصغارها فتزقُّه وتضمُّهُ تحت جناحيها وهو يتبعها كبقية الفراريج اينما ذهبت وايَّان حلَّت وهو يغرّد ويقرقر كصغار الحجل . ولمَّا كبر خاصمهُ الفراخ حتى الدجاجة فاضطرَّ صاحبه ان يفصلهُ ويعتني به وكان بالحجم على قدر نصف البريّ

﴿ تدجينهُ ﴾ يستمرّ الفرخ في العش حتى ينشط فحينئذٍ على الاصح تستقل الانثى بامر الاهتمام به وتعوّده على الطيران فتخرج به بميقات خروجها مقرقرةً امامهُ وهو يتبعها كما يتبع القوبُ الدجاجة ويتَّفق حينئذٍ مرور الصيادين او الرُّعاة فيدركونهُ والوالدة تُظهر حينئذٍ من الشجاعة ما يحيِّر العقل فقد تهجم وهي طائرة على الصيَّاد وتضربهُ بمنقادها وجناحيها وتدور حوله مشيرة بتصويتها الى صغارها ومنذرة اياهم بالخطر والصيَّاد يتركها وشأنها في تلك الحالة شفقةً على صغارها . ومتى حصل الصيَّاد على عددٍ من الفراخ يضمها في قفص من يقطين على شكل ابريق الفخار ويعتني بها ويحافظ على تدفئتها لاسيما في الليل ويقدم لها طعاماً من « القبابيط » وصغار البيض وحبوب الذُّب ولبّ الخيار والقثاء ويحاذر لمسها بالاكف لانَّ ذلك يميتها ويتوفَّر بالعناية بها حتى تبلغ « التربيقة الصحيحة » وهي في عرف الصيادين تريُّش الحجل

برشهِ الحقيقي الذي يُعرفُ به وبروز العلامات في الرأس المميّزة للذكر عن الانثى وتغير الصوت من الصفير الى التغريد (التكلم) ويقاسي الحجل في هذه التربية من الاوجاع والالام اشكالاً والواناً وقد لا يقوى ولاسيما اذا كان يُدجَّن على مقاساة الآلام فيموت

ومتى ربي الفرخ في البيت صغيراً ألفه وما زال به كالدجاج لا يفارقهُ ويقترب من الناس بغير حذر ويصعد عليهم مصوّتاً تصويتاً لطيفاً وقد رأيت بعضاً من الصيادين يطلقونه وشأنهُ فيسرح في البرية ويعود كالحمام الى قفصه بخلاف المأخوذ كبيراً امّا عن الشرك او عن سواه فيظل بريّاً لا يتصيَّد واذا اطلقتهُ ذهب دون امل الى رجوعهِ والعيال السورية لاسيما اللبنانية تقتني الحجال في بيوتها إعجاباً بمنظرها وتيمُّناً بصورتها واعتقاداً بان الخير معقود برجوعها . ويباع الحجل الداجن بريالين في سورية وقد يبلغ ثمنهُ ستة ريالات متى كان ماهراً في الصيد ومدرَّباً عليهِ

﴿ طرق صيده ﴾ قد تفنَّن الصيَّادون في سورية وذهبوا في صيد الحجل طرقاً ومذاهب شتى لأن فيه من اللباقة والتمرُّن على الرماية ما يدهش ويجدي الثناء على اصحابهِ فالذي يرمي حجلاً طائراً يحقّ له ان يحصى في عداد مهرة الصيادين

فان اراد الصيَّادون الخروج الى صيد الحجل دعا بعضهم بعضاً فيذهبون بكلابهم السلوقيَّة الى « المَحجة » صاخبين حادين كانهم بهرجان الى ان يقتربوا منها فيستترون وينبثُّون فرقاً فرقاً تتقدمهم كلابهم فتهتدي هذه بقوة الشمّ الى مكمن الحجل وتشيره فيصوّبون عليه بنادقهم فمن اصاب الهدف يصخبون له استحساناً واعجاباً ويتقدمُ الكلب من الحجل المقتول ويحمله بفمهِ ويناوله لصاحبه . والحجل الذي يثار بيوم كهذا وينجو من الصياد يخلي مكانه حالاً ويقلّ ظهوره وتغريده ويكثر حذرهُ وربَّما مات من الخوف

ويُصاد الحجل بالشرك ايضاً وشركهُ على مثال الشبكة يطرحه الصيَّاد في سهل مقصدهِ للحجال وينرس اطنابهُ جيداً وينثر في كل جهاتهِ حبوب القمح فياتي الحجل لالتقاطها فتعلق رجلاه فيها وينتشب ساقاهُ وكلما حاول التملص اشتدَّ عليه الضغط فيقع كالمذبوح واقصاً . وهذه الطريقة كان يستعملها القدماء في بلادنا قبل ظهور السلاح السريع الطلق وقد بطلت الان وندر استعمالها

وربّما تصيّدوا «بالمطعمة» وذلك انهم يخطّون في التراب في وطإ محجلة خطاً فقياً ويجلسونهُ على شكل ميزاب القرميد ويعلاون باطنهُ براً وينثرون على ظاهره تبناً وقمحاً فيشاهده القبج ويهبط اسراباً اسراباً بصياح وتصويت وينبره نبراً فيستأنف الصياد إجلاسه مرات ليتعوّد الحجل عليه ويقيم بمجربة منه قترةً ينطيها بالاوراق والاغصان وفي القترة كوّة صغيرة تقابل الثلم فيختفي فيها ممتنعاً عن كل حركة ومدخلاً فوهة بندقيته بالكوة لجهة الثلم فاذا انحدرت الحجال اصطفت حول الثلم كالعسكر او كالنادبات حول الميت فيفرغ عليها بندقيته فيقع ما يقع . والصيادون المهرة يستنكرون هذه الطريقة واذا مرّوا بمطعمة حوّموا حولها كي يبتعد عنها الحجل وخاصموا صانعها لخلوها من لذة الصيد ولقضائها على الأقباج مرّة واحدة

وفي اوائل تشرين الاول تترك الانثى صغارها وتقيم مع غيرها من الاناث وكذا الذكور الى ان يأتي زمن السفاد فيبدأ عهد الخصام ويستأنف زمن النيرة كرّته فتتناثر عقود الاسراب ويخفت الضعيف مستكنّاً ويظهر القويُّ كاسراً . والحجل في ذاك الوقت يفقد كل شعور ويطرح عنه كل خوف وتحذّر فتقترب منه ولا يجفل وتكاد تلمسهُ ولا يطير فاذا كان للصياد حجل داجنٌ حمله الى محجلة ونصبهُ على اريكة واستتر بجانبه وهيّجه للتغريد بصفيره فيبدأ بالمخاتلة والمراوغة فاذا سمعه بريّ انقضّ عليه كالباز على العصفور ليقتلهُ غيرةً وانتقاماً فيبادره الصياد بناره ويهلكه وذكر لي صيادٌ مرةً انه نصب حجلَهُ مرّةً وكان ضعيفاً فجاء اليه بريّ تدلّ ملامحه على تنادم عهده وقوّته وجثم على القفص يعارك الداجن من داخل والصياد لا يجسر على اطلاق النار مخافة اهلاك حجله ايضاً فقام اليه ولم يهرب حتى اقترب منه وصار يلمسهُ وربما جاءت الانثى ايضاً الى الحجل

قلنا انَّ العامّة يدعون انثى الحجل «سركة» وهي تصحيف سلكة ويطلقون عليها هذا الاسم وقت الصيد فقط اذ يتّخذونها لاصطياد الحجل البرّي . وذلك من اهم الدروس في معرفة اطوار وطبائع الحيوانات ففيه تظهر سنة الله منجليةً بكل معانيها ورسومها وفيه يُرى كلُّ ما خلق في الجوّ ودبّ على الارض اكثر حرصاً واشدّ تمسّكاً من الانسان بنواميس باريّ الوجود ويصاد عليها في ايام السفاد . وطريقة الصيد عليها كما على الذكر فاذا كانت هذه لبقة ماهرة استجلبت اليها كل من سمعها

من الذكور وجلتهم يتعاركون امامها ويتقاتلون فياخذهم الصياد بناره غنيمة باردة والصيادون يطمسون سركاتهم الثوم قبل اجلاسها على المنصة تهييجاً لها والحجل الداجن قد يخرس وهو على المنصة ولا يتكلم متى سمع آخر اشدّ منهُ بأساً وقوة وقد روى لي صيادو بلادنا ما اذكره بكل تحفظ قالوا ان لطيران الحجل وهبوطهِ المطمئن ونزاله لمثله رعدةً تُرعد الصيّاد كما يرعد صاحب الحمّى فتمنعهُ من الضغط على ديك البندقية ويعبرون عنها بلفظة « طرد » فسبحان الخالق الذي خصَّ كل طير بأخلاقٍ يصون بها جنسهُ وتمنع الانسان ملكهُ من ان يستبدَّ بهِ ويفني نسلهُ

فهذه خلاصة ما عاينّاه في حجل بلادنا فلعلَّهُ يقع لدى القرّاء موقع الاستحسان ويزيدهم شكرًا لبارئ الكون فيخدمون بنشاط ذاك الذي سخَّر لخدمتهم طيور السماء وحيتان الماء

البرهان الصريح
في أثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سبب نكران اليهود ليسوع المسيح

وكأني اسمع هنا اعتراض المخالفين فيقولون : ان كان الامر كما تقول عن انتظار كلّ الشعوب لمجيء المسيح وعن سبق النبوّات في تعريف زمنهِ ومكانهِ وكلّ تفاصيل حياتهِ من مولدهِ الى صعودهِ الى السماء أفما كان الاولى بالأمّة اليهوديَّة ان تتقدَّم في معرفتهِ على كلّ من سواها وفي يدها تلك الاسفار المدوَّنة في كلّ سطر من سطورها النبوّات المصرّحة بهِ . فان كان الامر على خلاف ذلك واليهود ينكرون كونهُ المسيح الموعود فضلًا عن انكارهم للاهوتهِ أفليس هذا برهاناً جليًّا على انَّ شروحنا لكلام الانبياء مبنيَّة على اوهام باطلة لاسند لها في واقع الامر

نقول انَّ هذا الاعتراض اقوى حجَّة لدى الخصوم يتشبَّثون بها لردّ البيّنات التي